المُهاجِر

من هجر ما نهى الله عنه

د. خالد أبو شادي

khaledaboshady.com

طيبة

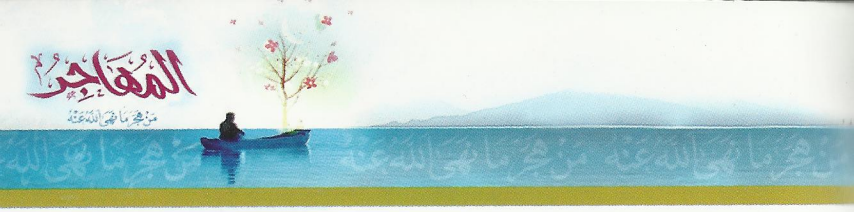

ب/ في الآخـــرة:

قال تعالى:

﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ﴾

وقال عز وجل:

﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴾

وقال رسول الله ﷺ: «**إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة**».

ولقد أرى الله رسوله عقوبات غيبية على ذنوب محددة على سبيل المثال، ليطلع أنقى قلب على ما يقشعر له من شدة الهول، ثم يدلي لسان الفصاحة الأول بتحذير الوجل المشفق على أمته، ليجمع بين الرؤية الثاقبة والشفقة البالغة، فيردعك عن الحرام ويصدك عن السقوط في مستنقع الآثام.

- فقد مرَّ ﷺ لما عُرج بـه بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فسأل عنهم فقيل له:

«**هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم**».

- ومر بخطباء يقولون ما لا يفعلون، ويأمرون بما لا يأتمرون، فقال ﷺ: «**أتيت ليلة أُسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار، كلما قرضت وفت، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ فقال: الخطباء من أمتك الذين يقولون ولا يفعلون، ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون**».

- ورأى في المدينة رؤيا -ورؤيا الأنبياء حق- أن رجلاً يثلغ رأسه بالحجر في قبره عقوبة له على نومه عن الصلاة المكتوبة، وجزاء ما امتلأ به هذا الرأس من نوم عن الفريضة.

- ورأى الزناة والزواني عراة في مثل بناء التنور (الفرن) يأتيهم لهب من أسفل منهم.

حين سُئل ﷺ : أي الهجرة أفضل؟ فقال:

«من هجر ما حرَّم الله».

وهي وصية النبي ﷺ للنساء كما هي الرجال، فقد قال لأُم أنس رضي الله عنها:

«اهجُري المعاصي فإنَّها أفضل الهجرة».

إنه المعنى الباقي والفائدة المستمرة، وثمار حلوة لا مقطوعة ولا ممنوعة، وبقي الدور علينا .. نرد البستان .. نقطف من ثماره وننعم بعبيره وريحانه.

المهاجر من هجر ما نهى الله عنه

درس الهجرة الأول

لما أراد صهيب الرومي الهجرة وقع في بعض فخاخ المشركين المنصوبة له، ولم يكد صهيب يراهم ويواجههم من قريب حتى صاح فيهم قائلاً: (يا معشر قريش!! لقد علمتم أني من أرماكم رجلاً، وأيم الله لا تصلون إليَّ حتى أرمي بكل سهم معي في كنانتي، ثم أضربكم بسيفي حتى لا يبقى في يدي منه شيء، فأقدِموا إن شئتم، وإن شئتم دللتكم على مالي وتتركوني وشأني).

فقبلوا أن يأخذوا ماله قائلين له: أتيتنا صعلوكًا فقيرًا فكثر مالك عندنا، وبلغت بيننا ما بلغت، والآن تنطلق بنفسك ومالك!! فدلَّهم على المكان الذي خبأ فيه ثروته، وعندها تركوه وشأنه، فاستأنف هجرته حتى أدرك رسول الله ﷺ في قباء حيث كان جالسًا مع بعض أصحابه، ولم يكد رسول الله ﷺ يراه حتى ناداه متهللاً:

«ربح البيع أبا يحيى!! ربح البيع أبا يحيى!!».

ونزل فيه قول الله تعالى:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾

أخي..

حسم صهيب الاختيار من أول وهلة، فحين خُيِّر بين ماله ودينه اختار دينه على الفور.

أخي.. وأنت يا أختاه..

أي خير في أن يُصاب دينك وتسلم دنياك؟!

بل ماذا يضرك إذا سلم لك دينك على حساب دنياك؟!

ويبقى السؤال قائماً وفاضحاً لحقيقة الإيمان:

إذا اضطررت يومًا إلى التضحية فبأيهما تبدأ؟ دينك أم دنياك؟

أخي ..

* تذكر صهيبًا عندما تُعرض عليك الرشوة المغرية التي تلوي أعناق الرجال.
* تذكر صفقته الرابحة حين يعرض عليك الشيطان صفقات خاسرة تستهدف إيمانك وآخرتك.
* تذكر صدى بشرى الحبيب: «**ربح البيع .. ربح البيع**» حين يُطلب منك أن تضحي بدنياك في سبيل نصرة دينك، وحين تبذل العاجلة بزوالها في شراء الآخرة بخلودها.

وليشكِّل هذا الدرس نقطة مفصلية في حياتك ومعنى خالدًا محفورًا في وجدانك، فلا يمكن أن تنساه مهما تغيَّر الزمان وتبدَّل الإخوان.

ولأجل هذا ترك الصحابة أموالهم وديارهم، وفارقوا أهلهم وعشيرتهم، لأن دينهم أغلى وطاعة ربهم أولى، وافتدى صهيب دينه بثروته التي أنفق شبابه في جمعها، فكان كقائد السفينة التي أوشكت تغرق من ثقل حمولتها، فضحَّى بالحمولة مهما كانت غالية في سبيل إنقاذ حياته، أو كالذي وقع أسير عصابة أرادت قتله فافتدى نفسه بكل ما يملك، لتبقى الرسالة الخالدة المستوحاة الهجرة:

دينك أغلى من كل شيء، فلو اضطررت إلى أن تضحي بكل شيء في سبيل سلامة دينك فافعل.

أولاً: ماذا نهجر؟

١- الكبائر:

وهي أعظم المهلكات، وقد عرَّفها العلماء بأنها كل ذنب ارتكبه الإنسان وكان فيه حد في الدنيا، كالقتل والزنا والسرقة، أو جاء فيه وعيد في الآخرة من عذاب أو غضب أو تهديد، أو لعن الله فاعله في كتابه أو على لسان رسوله، فمن الملعونون؟

- لعن رسول الله ﷺ آكل الربا،
- ولعن السارق،
- ولعن شارب الخمر وساقيها،
- ولعن المخنثين من الرجال والمترجِّلات من النساء،
- ولعن الرجل يلبس لبس المرأة، والمرأة تلبس لبس الرجل،
- ولعن من عمل عمل قوم لوط،
- ولعن من سبَّ أباه وأمه،
- ولعن من ضارَّ مسلمًا أو مكر به،
- ولعن من أفسد امرأة على زوجها،
- ولعن من أشار إلى أخيه بحديدة، ولعن الراشي والمرتشي،
- ولعن غيرهم، ولهذا قال ابن عباس في الكبائر: هي إلى السبعين أقرب.

٢- صغائر:

مع ما يحولها إلى كبائر، وهو:

- **الإصرار:**

كنقطة الماء المحتقرة يتوالى سقوطها على الصخرة الصلبة حتى تفلقها.

- **الاستصغار:**

فاحتقارك لذنبك، والنظر إليه باستخفاف يحوِّله إلى كبيرة.

- **الاستعظام:**

فمن ظن ذنبه أعظم من أن يُغفر، فقد ضاعف وزره، لأنه اتهم قدرة الله بالعجز، ورحمته بالضيق.

- **الاقتداء:**

إذا كنت موضع أنظار غيرك، كأن تكون رب أسرة أو مدير عمل أو رمزًا يتطلع الناس إليه كان وزرك مضاعفًا إن قصَّرت وعصيت، لأنك محط أنظار الناس وبك يقتدون.

- **الجهار:**

المجاهرة بالصغيرة تقلبها كبيرة، وذلك أن تهوِّن أثرها في القلوب، وتجرأ الناس على الحرام.

مكائد شيطانية:

- تأكل الحرام ثم تتصدق به.
- تصوم عن الحلال وتفطِر على ما حرَّم الله.
- تصلي القيام وتنام عن الفجر.
- ترتشي وتتصدَّق.
- تفقد الأمل في إمكانية الإقلاع عن المعصية.

المهاجر من هجر ما نهى الله عنه

عن النواس بن سمعان قال: قال رسول الله ﷺ :

«ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تتفرجوا، وداع يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد يفتح شيئًا من تلك الأبواب: قال: ويحك لا تفتحه: فإنك إن تفتحه تلجه، والصراط: الإسلام، والسوران: حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة: محارم الله تعالى، وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله عز وجل، والداعي فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم».

ولقد جعل الله تعالي لكل مؤمن واعظاً خارجاً عنه وهو القرآن. وواعظاً منه وفيه يشعر به ولا يراه، وهو واعظ الله في قلب كل مؤمن، وهو الحاجز النفسي الذي يمنعه من السقوط في الذنب إذا دعاه الشيطان، أما من استحكمت فيه الأهواء وتغلغلت الغفلات، فهذا ما عاد يسمع مثل هذا الواعظ بعد أن قتله بدم بارد وغيبة مشاعر.

فاغتنم بركة الزمان ونسائم الهجرة يتسلل عبير ذكراها إلى الصدور، فينعش القلب بالذكريات العطرة، لتبعث في الجوارح روح هجر الباطل والتخلي عن كل ما لا يرضاه الرب، فإلى..

إلى دعم الواعظ الخفي

يقوى واعظ الله في القلب تارة ويضعف تارة، لذا كان لابد له من دعم ومساندة، وإلا هلك، وليس من دواء يحررك من أسر ذنبك اليوم مثل تقوية هذا الواعظ أمام زحف الباطل الهادر.. **وقد اخترت لك منها:**

١ الحياء من الله

وهو حائط الصد الأول في وجه إعصار السيئات وطوفان الشهوات، ومما يوجب الحياء من الله ما يلي:

كثرة النعم مع اغتنامها في المعصية:

شكا بعضهم إلى أحد الصالحين وأظهر شدة اغتمامه به، فقال له: أيسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال: لا، فقال: أيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال: لا، فقال: أيسرك أنك أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفاً؟ فقال: لا، فقال: أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال: لا، فقال: أما تستحي أن تشكو مولاك وله عندك كنوز بخمسين ألفاً!

وحُكي أن بعض حملة القرآن اشتد به الفقر حتى ضاق ذرعاً، فرأى في المنام كأن قائلاً يقول له: تود أنا أنسيناك من القرآن سورة الأنعام وأن لك ألف دينار؟ قال: لا، قال: فسورة هود؟ قال: لا، قال: فسورة يوسف؟ قال: لا، فعدد عليه سوراً ثم قال: فمعك ما قيمته مائة ألف دينار وأنت تشكو!! فأصبح وقد سري عنه.

ودخل ابن السماك على هارون الرشيد وبيده كوز ماء يشربه، فقال له: عظني! فقال: لو لم تعط هذه الشربة إلا ببذل جميع أموالك، فهل كنت

تبذله؟ قال: نعم، فقال: لو منعت خروجها من بدنك لماذا كنت تشتري خروجها؟ فقال: بجميع ملكي. فقال ابن السماك: ملك لا يساوي شربة وبولة جدير ألا يُنافس فيه، فبكا الرشيد بكاء شديداً.

استح يرحمك الله!!

قدَّمك على سائر خلقه وأنت ماذا فعلت!!

وعظ شبيب بن شيبة الخليفة المنصور فقال: يا أمير المؤمنين إن الله لم يجعل فوقك أحداً، فلا تجعل فوق شكرك شكراً...

أخي.. إذا ميَّزك الله عن غيرك بنعمة من النعم فاعلم أن لها عند الله تبعة، فلا نعمة بغير ثمن، والثمن هنا هو مزيد الشكر لا مزيد الكفر، والاستزادة من الطاعات لا من السيئات، فاستح من الله أن يقدِّمك اليوم بمال أو جاه أو عيال أو راحة بال، ثم لا تقدمِّه وتؤثر عليه غيره، بل تسرع في طاعة الخلق وتتكاسل عن طاعته، وتهجر ما يكره حبيبك من البشر حرصاً عليه ولا تهجر ما أمرك الله بهجره حرصاً عليك!! وترتعد خوفاً من بطش ظالم أو صاحب سطوة أكثر من خوفك من عذاب الله وسطوته!!

استح يرحمك الله!!

تنساه ولا ينساك..

ومما يوجب حياءك من ربك أنه لا ينساك، مع أنك كثيراً ما تنساه..

ومتى تنساه؟

كل يوم.. فكلما ذكرته نسيت، وكلما وعدت أخلفت، وكلما استقمت انحرفت..

نعم.. تنساه عند اضطرام شهوتك.. تنساه عند ورود غفلتك..

تنساه عند انفرادك في خلوتك.. تنساه عندما تكون وسط الغافلين من صحبتك..

وهو سبحانه لو نسيك لحظة لهلكت ومن كان معك.. لسقطت السماء على الأرض تدمرها.. لتوقف نبض قلبك.. لحرمت كل توفيق.. ولملأ الهم والغم قلبك حتى تتمنى الموت فلا تجده..

استح يرحمك الله!!

نداء السماء في ثلث الليل الآخر:

ومما يوجب حياءك من ربك أنه يتنزل كل ليلة إلى السماء الدنيا ليجد النائمين يغطون في نوم عميق، بل تبجّح الكثيرون فبارزوه بالمعصية في أشرف الأوقات وأحبها إليه!! وأي شيء أصعب من أن يهديك أحد هدية فترمي بها في ركن النسيان؟ ثم لا تكتفي بذلك حتى تدوسها بقدمك، وتسلّطها على ما يكره صاحب الهدية؟! فكيف إذا كان صاحب الهدية هو الله، وهلاكك محقق إن لم تستلم هديته؟!

استح يرحمك الله!!

استح من الله كما تستحي من الرجل الصالح:

وهي وصية رسول الله لك، وبمقارنة بسيطة مخجلة تكتشف بها أنك تعصي أوامر ربك أكثر مما تعصي أمر مديرك!! تخاف من بطش حاكم أو مستبد أكثر من خوفك من رب الأرباب!! وتخشى أن يراك أحد على معصية ولا يضطرب قلبك أن يراك الله على ذلك!! وكل هذا يبعث الحياء في القلب، فعجبًا لبشر يرفع بشرًا فوق مقام الرب، وأخيرًا عليك بأنفع الحياء.. وما أنفع الحياء؟

قال أحمد بن عاصم الأنطاكي: وأنفع الحياء أن تستحي أن تسأله ما تحب وتأتي ما يكره..

استح يرحمك الله!!

٢ الحياء من رسول الله

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ :

«إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات، فإن كان خيرا استبشروا به، وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم لا تُمِتْهم حتى تهديهم كما هديتنا». حسن

إخوتاه..

حرم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، فإذا أضفت لذلك قول رسول الله ﷺ : **«ما من أحد يسلم علي إلا رد الله عز وجل إلي روحي حتى أرد عليه السلام»**، انبعث فيك عندها الإحساس بشدة قربه منك روحاً وجسداً، وتفاعله معك، فعملك معروض على رسولك.. نعم يعرض عليه.. فاستح أن يبذل حياته من أجلك ولا تبذل شيئًا من أجله، ويسيل دمه في سبيل هدايتك ثم تزهد في هديته، وليست فضيحتك واقفة عند حدود بيتك، بل تتجاوزه إلى أن تصل إلى رسول الله ﷺ في قبره، فيعرفك باسمك ونسبك، ويحيط علماً بما ارتكبت من جرم، وهذا ما أبكى أمير فلسطين إبراهيم بن صالح حين دخل عليه أحد الصالحين، فسأله الموعظة فقال: بم أعظك أصلحك الله! بلغني أن أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم من الموتى، فانظر ماذا يعرض على رسول الله ﷺ من عملك، قال: فبكى حتى سالت الدموع من لحيته.

فاذكر عرض عملك على رسول الله عند كل عصيان، وعقب كل استسلام وسقوط في شرك الشيطان، يكن لك رادعٌ عن سائر الآثام.

٣ خوف الاستدراج

قال رسول الله ﷺ : «**إذا رأيت الله تعالى يعطي العبد من الدنيا ما يحب وهو مقيم على معاصيه، فإنما ذلك منه استدراج**»، ثم تلا رسول الله ﷺ :

﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾

وهذا الاستدراج لون من ألوان نسيان الله للعبد، فلا مكانة لهذا العبد عند ربه ولا قدر له، لذا لا يبالي به: لا يحفظه من كيد ولا يعصمه من عدو.. عقوبة له على تماديه وتوالي مخازيه..

﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾

ومن هؤلاء: الظلمة.. استدرجهم الله فأملى لهم وأغدق عليهم النعم، فكلما علا فجورهم زاد نعيمهم، وكلما زادوا عتواً زادوا علواً، حتى إذا أخذهم لم يفلتهم، ومع توالي الإمهال وفرص الرجوع ظنوا أنهم مغفول عنهم ناجون بفعلتهم وأحرار بجريمتهم.

فانظر إلى حالك مع ربك وما فتح الله به عليك من نعم، وعلى هذا الأساس.. حدد هل أنت من المستدرجين دون أن تعلم.. أم أنك ناج من هذا البلاء، واقتد بالفاروق رضي الله عنه حين حملت له كنوز كسرى فقال: اللهم إني أعوذ بك أن أكون مستدرجاً، فإني أسمعك تقول:

﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

والاستدرج هو فعل الله بالظالمين لأنه لا يحبهم، فقد أعلن في كتابه:

﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

وهذا بخلاف من يحبهم ربهم: يعجل عقوبتهم في الدنيا. قال النبي ﷺ: «**إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه، حتى يوافى به يوم القيامة**». صحيح

ويؤكد هذا أبو سليمان الداراني فيقول: (كلما ارتفعت منزلة القلب كانت العقوبة إليه أسرع).

سائق تاكسي!!

ومن هذه القلوب التي أحبها الله فارتقت ومن الخير استقت، حتى عجل الله العقوبة تنبيها وتحذيرا.. قلب سائق تاكسي، ركبت معه يوماً، ودار بيني وبينه حوار أخبرني فيه أن طمع مرة في نظارة شمسية نسيها أحد الركاب قبل نزوله، ولمح هو هذه النظارة ولم يخبر بها صاحبها حتى نزل، ثم أخذها وباعها ليلتها، وفي اليوم التالي كان مسافراً بالقطار، وبينما هو واقف على رصيف المحطة إذ انزلقت قدمه فسقط على القضبان، ليجد نفسه تحت عجلات قطار مسرع يكاد يفتك به!! لكن الله أنجاه وأمهله، فراجع نفسه بتوبة، وعلم أن سرقة الأمس كادت أن تودي بحياته فندم وأناب.

ومرت الأيام، وركبت معه امرأة، وحدث أن نسيت حقيبتها في سيارته ولم يلمح هذه المرة الحقيبة، ونزلت السيدة واكتشف صاحبنا ما تركت، فارتعد خوفاً، وفتح الحقيبة ليبحث عن شيء يستدل به على صاحبتها، فوجد فيها خمسة آلاف جنيه، فجرى في خاطره أنه كاد يلقى حتفه في نظارة لا تساوي مائة جنيه فكيف لو كانت خمسة آلاف جنيه!! واستدل على صاحبة الحقيبة، وردّ لها مالها، فأخبرته وهي تبكي فرحاً أن هذا المبلغ هو زكاة مال كانت موجهة إلى مائة أسرة لكل أسرة خمسون جنيهاً، فصاح الرجل في رعب: وكمان زكاة مال!! دا أنا كنت هاروح في داهية!!

٤ خوف العقوبة

أ/ في الدنيا:

هذه نماذج للعقوبات الدنيوية التي تعاجل مرتكب الذنب في الدنيا، يراها أولوا البصائر الثاقبة، وأما القلوب المظلمة بكثرة الذنوب فهيهات هيهات:

قال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه**».

فكل من فقد مالاً أو ضاعت عليه فرصة رزق، عليه أن يراجع نفسه ويصالح ربه إن كان قد أسرف على نفسه أو جفا ربه.

كان أحد الصالحين عليه دين، وكان مستجاب الدعوة، فقال له ابنه: لو دعوت الله لقضى دينك، فقال: اللهم اغفر لي، فقال ابنه: ألا تدعو الله أن يقضي دينك؟ قال: يا بني إذا غفر لي قضى ديني.

الخداع في البيع: قال ﷺ: «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما**».

فكل من خدع الناس في بيع أو شراء ظانًا أنه ربح بجهالة غيره، هو في حقيقة الأمر خاسر بعلمه، وسيجني تبعة خسارته لاحقًا، وأسرع مما يتصور.

العقوبة السريعة: قال رسول الله ﷺ: «**ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه بالعقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم**». صحيح

خمس عقوبات على خمس ذنوب: قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر المهاجرين!**

خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن:

- **لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا،**
- **ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم،**
- **ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا،**
- **ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم،**
- **وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم**». صحيح

تهديد رهيب على قدر عظمة الله، ووفاء بهذا التهديد ممن لا يخلف الميعاد، فما أعظم التهديد وأقرب الوفاء!!

أخي..

إن خوفك من نزول تلك العقوبات بك يبقيك بعيدًا عنها، ويمثل سياجًا واقيًا من سقوطك فيها، ولو قوي تصديق الناس بوعد الله ووعيده لالتفتوا إلى سبب المصيبة وأصل البلاء، ولدرسوا ما قادهم إلى السقوط في الهاوية بدلاً من التأمل في تفاصيل تلك الهاوية، فالمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، وعدم التألم بالعقوبة الواقعة دليل مبين على تبلد إحساس الكثيرين وقسوة قلوب المسرفين على أنفسهم والغافلين.

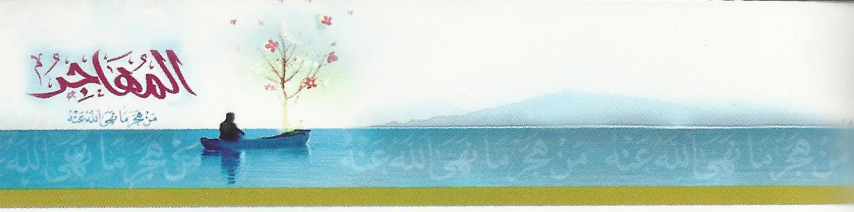

ب/ في الآخـــرة:

قال تعالى:

﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ﴾

وقال عز وجل:

﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴾

وقال رسول الله ﷺ: «**إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة**».

ولقد أرى الله رسوله عقوبات غيبية على ذنوب محددة على سبيل المثال، ليطلع أنقى قلب على ما يقشعر له من شدة الهول، ثم يدلي لسان الفصاحة الأول بتحذير الوجل المشفق على أمته، ليجمع بين الرؤية الثاقبة والشفقة البالغة، فيردعك عن الحرام ويصدك عن السقوط في مستنقع الآثام.

- فقد مرَّ ﷺ لما عُرج بـه بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فسأل عنهم فقيل له:

«**هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم**».

- ومر بخطباء يقولون ما لا يفعلون، ويأمرون بما لا يأتمرون، فقال ﷺ: «**أتيت ليلة أُسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار، كلما قرضت وفت، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ فقال: الخطباء من أمتك الذين يقولون ولا يفعلون، ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون**».

- ورأى في المدينة رؤيا -ورؤيا الأنبياء حق- أن رجلاً يثلغ رأسه بالحجر في قبره عقوبة له على نومه عن الصلاة المكتوبة، وجزاء ما امتلأ به هذا الرأس من نوم عن الفريضة.

- ورأى الزناة والزواني عراة في مثل بناء التنور (الفرن) يأتيهم لهب من أسفل منهم.

٥ رجاء العوض

قال رسول الله ﷺ لرجل من البادية: «**إنك لا تدع شيئاً إتقاء الله تعالى إلا أعطاك الله عز وجل خيراً منه**». صحيح

وتعلم الدرس جيداً أبي بن كعب رضي الله عنه فقال:

(ما من عبد ترك شيئًا لله إلا أبدله الله به ما هو خير منه من حيث لا يحتسب)، والتابعون من نفس النبع يستقون، فهذا قتادة بن دعامة السدوسي التابعي الجليل يقول: (لا يقدر رجل على حرام ثم يدعه ليس به إلا مخافة الله عز وجل إلا أبدله في عاجل الدنيا قبل الآخرة ما هو خير له من ذلك).

والتعويض المباشر والمكافأة السريعة على ترك الحرام يكون من ثلاثة طرق:

أ/ الأنس بالله والفرح به:

فهو وحده الذي يملك مفاتيح القلوب، وبيده سرورها وهناؤها، وليس السرور في الثروة والمال والجاه والسلطة، بل بيد الله وحده أن يهبك السعادة أو يحرمكها، فإذا قدمت أمره واجتنبت نهيه ملأ قلبك من خزائن السعادة..

﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾

أخي..

اعلم أن الله ممتحنك في صدقك أو كذبك.. في صدق رغبتك في الجنة أو زهدك فيها، في حقيقة طلبك لرضا ربك أو إعراضك عنه،

وتفاصيل هذا الامتحان أن تجد الحرام يلوح أمام ناظريك سهلاً يسيرًا، كل شيء يدفعك إليه ويحثك عليه، فإن عبرت جسر المشقة القصير ولم تسقط اجتزت الامتحان بتفوق، وكوفئت في الدنيا بوصولك إلى الواحة الواسعة من الراحة الرائعة واللذة الغامرة، وفي الآخرة بأضعاف أضعاف ذلك، وصدِّق وعد ربك حين أكَّد:

﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾

أخي..

كلما زادت غربتك في طاعتك وتاقت نفسك إلى الحرام، وكثر الدعاة إلى الوقوع فيه، كلما عظم أجر المهاجر، وتضاعف أجره الوافر، فاصبر قليلاً تنعم طويلاً، وآثر الله مرة في حياتك ترى العجب طوال حياتك!! ولكن أهل الشك لا يعلمون!!

ب/ ثواب الدنيا العاجل:

هذه أمثلة لمن عوضه الله في دنياه جزاء ما أحسنت يداه كما أثبتت هذا الآيات الأحاديث الصحاح:

- من ترك التكالب على الدنيا جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة.
- من ترك الربا بارك الله في رزقه، وفتح له أبواب الخير والبركات.
- من ترك النظر إلى المحرم عوَّضه الله فراسة صادقة، ولذة يجدها في قلبه.
- من ترك الكبر مؤثرًا التواضع علا قدره بين الناس «**من تواضع لله رفعه**».
- من ترك المنام ودفء الفراش للنهوض إلى الصلاة ملأ الله يومه نشاطًا، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان.

* من ترك المماطلة في الدين أعانه الله عليه وسد عنه، بل كان حقًا على الله عونه.
* من ترك الشهرة وحب الظهور رفع الله ذكره رغمًا عنه، وأتته الشهرة تجر أذيالها.
* من ترك قطيعة رحمه فوصلهم، بسط الله له في رزقه، ونسأ له في أثره، ولا يزال معه ظهير من الله ما دام على تلك الصلة.
* من ترك العقوق، فكان براً بوالديه، رزقه الله من الأولاد من يبره.
* من ترك العشق، وتجرَّع غصص الهجر، ونار البعد، سلَّمه الله من اللوعة والذلة والأسر، وملء قلبه من محبة الله عز وجل ما يعوِّضه عن لذائذ الدنيا ويكفيه ويفضل عليه.

ج/ ثواب الآخرة الآجل:

وعن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ترك اللباس تواضعاً لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخير من أي حلل الإيمان شاء يلبسها**». صحيح

وهذا الثواب في الحديث غيض من فيض، وقليل من كثير، ويشكِّل أجرًا خاصًا وهدية مميزة جزاء عمل واحد، فضلاً عن الثواب العام والفوز الأهم: الجنة ولا أروع!! وكأنه سبحانه خاطب عباده الذين وقفوا على حدوده وما اعتدوا قائلاً:

- آثرتموني على شهواتكم فكافأتكم.
- وقدَّمتموني على أهوائكم فآثرتكم.
- وحرمتم أنفسكم لذة عابرة من أجلي فلتتنعموا باللذة الدائمة في ظلي.

١ م/ معرفة..

والمقصود بها أن تتعرف على نقاط ضعفك، وما استزلك به الشيطان من كبائر أو صغائر أو لمم، وهذه المعرفة تقطع بك نصف الطريق نحو الهدف، لأن الجهل بالداء يُعمي عن الدواء، وعدم معرفة مواطن نقص الإيمان يدفع إلى عدم استكمالها، ومصدر هذه المعرفة أربعة:

١- **نفسك:** فكلّ أدرى بحاله، وكثير منا يعلم مواضع التقصير في مسيرته دون حاجة إلى من يكاشفه بها.

٢- **صاحبك:** فالمؤمن مرآة أخيه، فاصحب من يصدُقك لا من يصدِّقك، واحرص على إخوان الخير الذي لا يدارونك في حق ولا يسكتون عن ميل، ليشكلوا بحق جهاز إنذار مبكر يكشف الأخطاء والعيوب، ويغل يدك عن أن تمتد إلى حرام، ورجلك عن السير إليه، حرصًا على آخرتك، ورغبة في توسيع رقعتك في الجنة.

٣- **عدوك:** فكل من تراه مكروها بين الناس تحرص على أن تعرف لم أبعدوه، وبأي سبب أبغضوه، ثم سائل نفسك: هل تقع في ما وقع فيه، فتصل إلى ما وصل إليه.

٤- **قدوتك:** أصلح جهاز استقبالك الإيماني لتتلقى على الفور رسائل إيمانية من شخص تتخذه قدوة لك بعد أن نجح في قهر شيطانه وتقييد هواه، وتنظر كيف وصل إلى ما وصل إليه واهتدى هذه الهداية.

٢ هـ/ هجر:

وهجر مكان المعصية:

جسدًا وعقلاً وروحًا، فلا تسوقك قدمك إلى مكان ينتهب فيه الشيطان من ثروتك الأخروية، ويعبث بسكينتك الإيمانية.

هجر مقدماتها:

من نوم يمنع من صلاة، ومن نظرة تجر إلى نظرة، ومن صغائر تقود إلى كبائر، ومن خلوة توقع في نزوة، ومن إسراف في مباح يُدني من مكروه، ومن مكروه يقود إلى محظور.

هجر أهلها: من أرشدك إلى المعصية، أو أعانك عليها، أو جرأك على ارتكابها، أو زيَّنها في عينيك، وذلك ما دمت أضعف من أن تصلح فساده وتهدي فؤاده.

3 ١/ استعانة:

وهو النقطة المحورية الثالثة، فكل ما لا يتم بربك لن يتم، وكل ما تم بغيره لا بركة فيه، فكل استعانة بغيره خذلان، وكل لجوء إلى أحد من خلقه اتهام له، واسمع حين اشتكى عامر بن قيس فوران شهوته، ولم يقو على الصمود أمامها ماذا فعل؟!

عن قتادة قال: (كان عامر بن عبد قيس يسأل ربَّه أن ينزع شهوة النِّساء من قلبه، فكان لا يُبالي أذكرًا لقي أم أنثى).

واستجاب الله دعاءه حتى لقِّب بعدها براهب هذه الأمة، وانطفأت نار شهوته ليشرق نور صحوته، حتى سمت مشاعره ورقَّت روحه حتى بكى حين حضرت وفاته، فقيل: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جزعًا من الموت، ولا حرصًا على الدنيا، ولكن أبكي على ظمأ الهواجر وقيام الليل.

فتعلَّم الدرس وخذ الحكمة، وخرَّ لله ساجدًا واضرع له باكياً، وأطل في سجدتك، فكلما أطلت وصلت، وكلما دنوت علوت، لترفع رأسك بوجه مشرق نقي غير الوجه الذي سجدت به، فإذا وجدت حلاوة الدعاء فأبشر بما

قال ابن عطاء: (من وجد ثمرة عمله عاجلاً، فهو دليل على وجود القبول آجلاً).

أتيتك سائلا فارحم عنائي ... فعندك يا كريم دواء دائي
فلا أحدٌ سواك إليه أشكو ... فيرحم عبرتي ويرى بكائي
فيا مولى الورى جُد لي بعفو ... ومُنَّ بنظرة فيها شفائي

4 ج/ جماعة:

والمقصود بها الصحبة لا أقول الصالحة، بل المصلحة، واستبدال صحبة بصحبة، وإشراق نور يبدد كافة الظلمات.

وهذه الصحبة ضرورة لازمة من أجل:

- معرفة عيوبك.
- معاونتك على التخلص منها.
- التنافس معهم في الخيرات.
- الاستعانة بهم عند الفتور أوالسقوط.
- التماس دعواتهم أوقات الضعف.

5 ر/ رجاء:

وهو حسن الظن بالله، والتأكد من قدرة الله الكبير المتعال أن ينقذك من أسر معصيتك واستعباد شيطانك، فالله على كل شيء قدير وهو بالإجابة جدير، ومن شك في قدرته على النجاة وقع في بئر الهلاك، ومن خاف من القتل قُتل، ومن أيقن بالنجاة نجا، والمرء أسير تصوراته وقناعاته، وما الواقع إلا صورة مكرورة مما يظنه الإنسان ويحياه في خياله.